مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــ المجلد: 11 / العـدد:01 (جانفي 2023) ص 1076– 1102
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

ملامح الدور الإصلاحي لعلماء الاباضية بجبل نفوسة (من ق3 حتى ق8هـ)(ق9 حتى ق14م)

الحياة الاجتماعية نموذجًا

Features of the reformist role oflbadi scholars inNafusa mountain(From 3rd to 8thAH)(9th to14th BC)
Social life as a model

الدكتورة: شريفة عبد الرزاق محمد الشريف الأخضر
جامعة سبها / دولة ليبيا، SHA.ALSHARIFELAKHDAR@sebhau.edu.ly

تاريخ الاستلام: 2022/10/24	تاريخ القبول: 2023/01/11	تاريخ النشر: 2023/01/22

الملخص: هذه الدراسة تحاول إبراز الدور الإصلاحي الفاعل لعلماء الاباضية بجبل نفوسة خلال الحياة العامة لتحصين معالم الهوية الإسلامية، خاصة فيما يتعلق بالجانب الاجتماعي الذي يتطلب رسم الطريق الذي تصاغ بها الأحكام الشرعية في مدن جبل نفوسة وقراه، من خلال العلاقة الوطيدة والتواصل الدائم بين العلماء وبين أفراد المجتمع، نتيجة لما ترسب في فكر هذه النخبة من قيم إسلامية راسخة وما يحملون من مخزون ثقافي وعلمي، وقد قاموا بإسهامات إصلاحية عميقة الأثر داخل ذلك المجتمع، تمثلت في تبني منهج يهتم بتأسيس الفرد وتقويم سلوكيات الأفراد ومراقبة مراكز التعاملات اليومية للبيع والشراء كالأسواق وأماكن الالتقاء كالطرق والمصالح العامة ومواجهة الأزمات والظواهر السلبية.

الكلمات المفتاحية: الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، جبل نفوسة، علماء نفوسة، الحياة الاجتماعية، الدور الإصلاحي، الإنفاق، التكافل، المؤسسات.

Abstract: This study attempts to highlight the effective reformist role of the scholars oflbadiinNafusa Mountains during individual and social public life to fortify the features of the Islamic identity, especially with regard to the social aspect that requires drawing the way in which the legal rulings are formulated in the cities of the Nafusa Mountains and its villages, through the close relationship and permanent communication between scholars and among individuals The society, as a result of what was deposited in the thought of this elite of solid Islamic values and the cultural and scientific stock they hold, and they have made profound reformist contributions within that society, represented in the adoption of a curriculum concerned with the establishment of the individual from his early childhood through the educational and educational approach that aims to spread awareness Religious and moral institutions with building institutions that adopt this approach, and was represented in evaluating the behavior of individuals to overcome the negative effects of evils and reduce their danger to the Islamic society by enjoining good and forbidding evil and urging social solidarity, taking care of families and redressing grievances to their people, in order to build a sound Islamic society.

Key Words : Enjoining Good, Forbidding Evil, Nafusa Mountains, Nafusa Scholars, Social Life, Correctional Role, Spending, Solidarity, Institutions

المؤلف المرسل:د.شريفة عبدالرزاق محمد الشريفالأخضر،الإيميل:SHA.ALSHARIFELAKHDAR@sebhau.edu.ly

1. مقدمة:

إن تاريخ جبل نفوسة يشكل أهمية بالغة الأثر في التراث الحضاري للدولة الإسلامية بشكل عام ولتاريخ ليبيا الإسلامي بشكل خاص، إذ كان لعلماء جبل نفوسة دور بارز في تطور المجتمع الإسلامي ورأب الصدع فيه من خلال العملية الإصلاحية التي تبنوها، وبما أن الدين الإسلامي اتخذ منهاجًا للمسلمين فتميز بكماله وعنايته بكل جوانب الحياة بما فيها تسيير أمور المسلم والذمي ورعايته وتوجيهه.

ولا غرو أن علماء المسلمين في كل زمان ومكان حرصوا على سلامة المجتمعات الإسلامية من أي ظواهر سلوكية من شأنها أن تهدده بالفساد الأخلاقي والاجتماعي، وذلك من خلال المنهج التربوي الإصلاحي الذي يقوم على أمور كثيرة أهمها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد انجب جبل نفوسة ببلاد المغرب الأدنى (ليبيا) في العصر الإسلامي ثلة من العلماء انتسبوا لقبيلتهم نفوسة وتبنوا هذه المهمة في الجبل، فقاموا بجهود إصلاحية كبيرة على المستوى الاجتماعي داخل هذا المجتمع في سبيل الحفاظ على الهوية الإسلامية، وتدخل تلك الجهود ضمن إطار مسؤوليتهم كرموز وقامات لها ثقل سياسي واجتماعي وعلمي وفقهي وإداري ولها مكانتها في المجتمع النفوسي خاصة، والمجتمع الإباضي عامة، وقد أثرت جهود هؤلاء العلماء الإصلاحية والحضارية كتب السير الإباضية بسيرهم والمنهج التربوي والتوعوي والإرشادي الذي اتبعوه في تاريخ الجبل والمنطقة بين القرن الثالث والثامن الهجري.

والهدف من الدراسة تسليط الضوء على دور النخبة المؤثرة في المجتمع النفوسي التي تربطها علاقة وطيدة بأفراد المجتمع وتبذل جهود كبيرة في تغيير المجتمع للأفضل بالسير على المنهج الإسلامي للمجتمعات المسلمة، معتمدين في ذلك على (السير الإباضية) التي تمحورت مادتها التاريخية حول الحياة اليومية لعلماء جبل نفوسة وسيرهم وأثارهم في المجتمع.

إشكالية الدراسة :

تنحصر إشكالية الدراسة في ايضاح وإبراز صور وملامح الدور الإصلاحي لعلماء نفوسة في الحياة الاجتماعية بالجبل، ولكشف ثمار جهودهم من خلال طرح التساؤلات الأتية:

أي دور يجب على علماء نفوسة تأديته في المجتمع؟ وما أبرز الأدوار الإصلاحية التي قاموا بها في المجتمع النفوسي؟ وما أكثر الجوانب التي ارتكزت عليها عناية العلماء في الإصلاح من الناحية الاجتماعية؟ ما علاقة بناء

المؤسسات بالمنهج التربوي الذي اتبعه علماء نفوسة؟ ومن هي تلك الشخصيات التي قامت بذلك الدور؟ وما مدى إسهام علماء نفوسة في مسيرة الإصلاح اوقات الشدة والقحط؟ وكفالة الأيتام والإنفاق على طلاب العلم والأضياف؟ وهل أثمرت تلك الجهود في إصلاح المجتمع النفوسي؟ وهل واجه العلماء صعوبات أعاقت ذلك الإصلاح؟ وهل كان للعلماء دور في نصح الحكام والساسة وتوجيههم؟ وهل تقبل الحكام ذلك النصح؟ وكيف كانت طبيعة العلاقة بين العالم النفوسي المصلح وأفراد المجتمع بالجبل؟ وكيف كان موقف العامة من تلك التوجيهات والإصلاحات؟

إن طبيعة الموضع فرضت على الباحث الاعتماد على المنهج التاريخيلتتبع مواقف علماء نفوسة الإصلاحية وإبراز ملامحها في الحياة الاجتماعية بالجبل.

2.مدخل:التعريف بالجبل وعلماء نفوسة:

2. 1الحياة السياسية بالجبل خلال قرون الدراسة:

بعد الفتح الإسلامي لمنطقة شمال أفريقيا خلال22هـ/643م انتشر الإسلام بين سكان جبل نفوسة وسكان بلاد المغرب وشمال أفريقيا، وتهيأت الظروف لانتشار المذاهب الإسلامية بشمال أفريقيا وبوصول الداعية الإباضي سلمة بن سعد سنة95هـ من بلاد المشرق إلى جبل نفوسة وقيامه بنشر المذهب الإباضي فيه مع نهاية القرن الأول الهجري، اجتمع حوله العديد من سكان الجبل الذين اعتنقوا المذهب، وأصبح الجبل في أغلب فترات العصر الإسلامي يدار سياسيًا بحكومات محلية اباضية مستقلة عن بلدان المغرب الإسلامي السنية، تحت مسمى إمامة الكتمان الإباضية ثم بعد قيام الدولة الرستمية في المغرب الأوسط أصبح الجبل ولاية تابعة لها،يعمه الهدوء والاستقرار، تعاقب عليه ولاة واحدًا تلو الأخر أخرهم الوالي "محمد بن عبدالله بن الخير" الذي عمر طويلاً في ولايته، وبعد سقوط الدولة الرستمية في الجزائر سنة 296هـ/908م، استقل الجبل وظل معقلاً للإباضية تعاقب عليه حكام وأئمة محليون من نفوسة لديهم كافة صلاحيات الأئمة التي كانت تسري على سائر سكان الجبل بجميع قبائلهم، وبعد إخفاقهم في اقامة إمامة ظهور اهتدوا إلى نظام جديد في مسلك الكتمان وهو نظام العزابة الذي أسسه "أبو عبدالله محمد بن بكر" في بدايات القرن الخامس الهجري وهو عبارة عن سلطة أهلية محلية ترعى الشؤون العقائدية والاجتماعية والثقافية للمذهب.

وظهر خلال قرون الدراسة بجبل نفوسة ثلة من الفقهاء والعلماء الذين كانوا صمام أمان في مجتمعهم النفوسي، فهذه الفئة المثقفة في المجتمع الإسلامي من أئمة وقضاة وفقهاء، تميزوا بالتقوى والورع وبمؤهلات عالية وبمكانة رفيعة في المجتمع الجبلي مكنتهم من الاهتمام بالعلم ودراسة الفقه والقرآن الكريم وعلومه والمحافظة على القيم

الإسلامية والمبادئ التي ارتكزت عليها العقيدة ومحاولتهم الدائمة الإسهام في تطور المجتمع الإسلامي ورقيه وتحصينه وحمايته من الفساد بتسخير كل الوسائل والإمكانيات.

2.2 جبل نفوسة: التسمية والموقع:

أما تسمية جبل نفوسة (نفوس بطن واحد تنسب إليه نفوسة كلها، وكانوا من أوسع قبائل البربر، وفيهم شعوب كثيرة)(808هجري)، 2000م، صفحة ج6،149)بهذا الاسم: فهي نسبة إلى أكبر قبائل البربر في المغرب الأدنى وهي قبيلة نفوسة التي تقطنه، وقد عرف علماء الجبل باسم علماء نفوسة نسبة لهذه القبيلة كما ورد في كتب السير تمييزا لهم عن بقية علماء الإباضية المنتسبين لجزيرة جربة ببلاد المغرب الأدنى وعلماء الإباضية المنتسبين لوارجلان بالمغرب الأوسط، وكذلك "تمييزا لهم عن باقي فروع القبيلة المشتتة هنا وهناك ببلاد المغرب"(ليفيتسكي، دراسات شمال افريقية، 2006م، صفحة 95)، و"نفوس" بطن واحد تنسب إليهم نفوسة كلها، وكانوا من أوسع قبائل البربر فيهم شعوب كثيرة مثل بني زمور وماطوسة وكانت مواطن جمهورهم بجهات طرابلس وما إليها وهناك الجبل المعروف بهم وهم على ثلاثة مراحل من مدينة طرابلس(808هجري)، 2000م، صفحة 149)

ويذكر أطفيش: إن كل أهل نفوسة برابر وسموا نفوسة لأنهم أسلموا بنفوسهم وأذعنوا للإسلام، وسألوا عنه وتعلموا بلا داعٍ، وقالوا: سموا باسم جدهم نفوس وكان ما غديس الأبتر جد البرابر البتر، وقيل تشعبت منه بطونها وتنسب نفوسة كلها إلى نفوس، وكانوا من أوسع قبائل البربر، وفيهم شعوب كثيرة مثل: زمور وماطوسة ومكسود ومواطنهم باتجاه طرابلس وهناك الجبل المعروف بهم.(طفيش ، 1965م، صفحة 24)

ويقع جبل نفوسة ببلاد المغرب الأدنى وتحديدًا في غرب ليبيا جنوب إقليم طرابلس ويفصل بينهما سهل الجفارة، والجبل هو جزء من سلسلة مرتفعات في الشمال الغربي لليبيا تمتد من بلاد المغرب الأدنى حتى المحيط الأطلسي، ويدخل طرف الجبل الغربي بالبحر(الحميري، 1984م، صفحة 76)، ويأتي الجبل على شكل هلال يفصل بين إقليم فزان جنوباً وإقليم طرابلس شمالاً، وهذه الكتلة الجبلية مقوسة ذات منحدرات يتراوح ارتفاعها بين600 إلى800 متر(ليفيتسكي، دراسات شمال افريقية، 2006م، صفحة 93)ويصفه الرحالة بالاتساع وقوة التحصين ووعورة المسالك وكثرة الزروع (مؤنس، 2000م، صفحة 115)(الإدريسي، 2002م، صفحة 279)، ويتضمن عدة مدن وقرى تتوزع على سفوحه وحول الأودية المنشرة فيه، أشهرها مدينة فرسطاء، وكاباو، ومدينة شروس، ومدينة جادو، وغيرها من المدن والقرى التي كان للعلماء الذين نشأوا فيها دور في تطويرها على كل المستويات وحملوا ألقابًا تعود لنسبتهم لتلك القرى والمدنِ.

3. المبحث الأول: إسهامات علماء نفوسة في المنهج التربوي ومسؤوليات القضاء

تمتع المجتمع النفوسي بعد الإسلام بروافد إسلامية كثيرة من خلال تطبيق تعاليم الدين الإسلامي واكتساب الفضائل التي ميزتهم بخصائص متعددة، بالإضافة إلى ما جبل عليه أهل نفوسة والجبل من خلق وعلو همة، ونتيجة للعلاقة التي يؤصلها علماء نفوسة مع أفراد المجتمع رأوا أنه لابد من القيام بدور تربوي يهدف إلى تبصير ابناء الجبل بالدين ورفع الجهل عنهم بهدف تأسيس نواة اجتماعية إسلامية خالصة تتربى على قيم العقيدة والسلوك الإسلامي في اتجاهات متعددة منها الروحي والاجتماعي، مع الاهتمام بالإشراف على النظم التي هدفها نشر العدل والمساواة بين أفراد المجتمع .

3 .1 بناء المؤسسات الدينية:

اهتم العلماء بالعديد من النشاطات الإصلاحية الدينية في الجبل وكانت الأولوية للعبادة والتعليم وتربية النشء وتحفيظ القرآن، ولقد كان لهذه المجالات أهمية بالغة حيث وصل النشاط ذروته في القرن الثالث الهجري، عندما احتضنت مدن وقرى الجبل العديد من العلماء الذين بذلوا جهد كبير في العملية الإصلاحية والتربوية فبجانب إدارة حلقات العلم وتجهيز مجالسها والإشراف على البرنامج التربوي، اتجه جلهم إلى بناء المؤسسات الإصلاحية والتربوية والعمائر الدينية كالمساجد بالقرب من المنازل أو بأماكن تتوسط الأحياء السكنية لما للمسجد من أهمية كبيرة عند المسلمين، فهو مكان للعبادة تنطلق منه رسالة الإسلام وملتقى للعلماء.

وقد أرفقت هذه المساجد بغرف تسمى الكتاتيب لإدارة حلقات العلم وتربية النشء، وتقديم النصح والإرشاد من خلال تلك الحلقات، ومن تلك المساجد التي بناها علماء نفوسة الموسرين للعبادة والدراسة: مساجد أبي عبيدة عبدالحميد الجناوني (ق3هـ) السبعة(البغطوري، 2017م، صفحة 311)التي أسهم بها في الحركة الإصلاحية بالجبل، وقام الشيخ أبو الشعثاء عبدالكريم السنتوتي(ق4هـ) الذي اشتهر بالجمع بين العلم والورع والعمل المخلص في السراء والضراء ببناء مسجد بسنتوت(البغطوري، 2017م، صفحة 339)(الشماخي، 1987م، صفحة 209)وابنتي موسى بن جعفر الافاطيمي (أبو المُهاصر) (ق3هـ) مسجدًا سمي بمسجد "إمصراتن" بجادو حيث "اشترط أن يعتمد على نفسه في نفقاته وأن لا يقبل ضيافة أحد مدة اشتغاله بالعمل حتى يكون عمله كله خالصاً لله"(يحيى، معمر، 2008م، صفحة 190)لذلك كان يحمل زاده معه أثناء البناء من منزله بافطيمان في الفخار فيجدونه سخونًا بجادو"(البغطوري، 2017م، صفحة 280)وكان لأبي المهاصر ثلاثة مساجد بالجبل(باسي، روني، 2000م، صفحة 53)، وظاهرة تعدد المساجد للمشايخ يذكر الدرجيني: أن محمد بن يانس الدركلي(ق3هـ) كانت له سبعة مساجد بعضها في الجبل وبعضها في السهل(الدرجيني، 1965م، صفحة 298)(تعود لحالتهم الميسورة مع

تنافسهم في التقرب لله بتلك الأعمال، كما ابتني موسى بن هارون التلموشائي(ق4هـ) مسجدًا في بانين "صار كهفاً ومأوى لأهل الإسلام"(البغطوري، 2017م، صفحة 134)، بتهافت ابناء البلدة عليه "ويقع هذا المسجد على سفح منحدر صغير وسط أطلال القرية، ويتكون من أربعة أروقة، وله مدخلان أحدهما يقود إلى أحد أقسام المسجد"(المقيد الورفلي، 2009، صفحة 101)، يبدو أنه مكان المجلس الذي تقام فيه الحلقة العلمية، وأغلب المساجد بنيت قرب مجالس العلم التي يديرها العلماء لإدراك أوقات الصلاة، والبعض يبني مسجده بالقرب من منزله كالشيخ يصليتنالأدوناطي(أبو مسور)(ق3هـ)الذي قام ببناء مسجد في منزله قريبًا من مجلسه الذي يقيم فيه العلم والحلقات(البغطوري، 2017م، صفحة 293)، وهناك العديد من المساجد بجبل نفوسة(ابتنى الشيخ أبي محمد خصيب التمصميصي (ق3هـ) الذي عرف بنزاهته وتقواه مسجداً بتنومات بنفوسة ومسجد امصرتن للشيخ أبي سهل البشر بن محمد التندميرتي، ومسجد أبي عامر التصراري في أنير، وابتني سعد بن أبي يونس مسجداً في تمصميصبفرسطاء، مسجد أبان بن وسيم في ويغو)(البغطوري، 2017م)(ليفيتسكي، تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم، 2006م، صفحة 18)

بنيت تلك المساجد بجهود العلماء لخدمة الدين والعلم وإبراز الهوية الإسلامية والرقي بالمجتمع من جميع النواحي الأخلاقية والدينية ونشر الثقافة والوعي بين السكان.

3 .2 بناء المؤسسات التعليمية:

من جانب آخر للعملية الإصلاحية في الجبل كانت إسهامات علماء نفوسة بارزة لخدمة طلاب العلم وأهالي المدن والقرى، فقد قام المقتدرين من العلماء ببناء المؤسسات الاجتماعية كالمدارس والأقسام الداخلية التي تأوي الطلاب، ليكتمل المنهج التربوي باجتماع المشايخ مع الطلاب في كل الأوقاتللاستزادة بالعلم والدين والفقه، وقد شجع العلماء بعضهم البعض على الإسهام في هذه العملية من باب صدقة العلم، فطوروا حلقات العلم بتأسيس تلك المدارس الكبيرة، ولا تكاد أي مدينة أو قرية بجبل نفوسة تخلو من هذه المؤسسات العلمية، كما لا يقتصر دور العلماء على البناء من الناحية المادية فقط، بل قام جلهم بالإشراف على عملية التعليم والتربية والإرشاد والتوجيه فيها، ومن أمثلة تلك المدارس، مدرسة سليمان بن ماطوس(أبوالربيع) التي انشأها في(ق3هـ) بمدينة شروس(يحيى، معمر، 2008م، صفحة 335)والتي أشرف على إدارتها بنفسه، وكذلك أنشأ أبان بن وسيم النفوسي(أبوذر)(ق3هـ) مدرسة في قرية ويغو بالجبل وجلس للتدريس والفتوى فيها للرجال والنساء(الشماخي، 1987م، صفحة 234)، وقد تخرج من هذه المدرسة العديد من الشخصيات الرائدة (كالشيخ عبدالله بن الخير أبي محمد، كما تخرج منها أبو القاسم سدرات بن الحسن البغطوري)(الشماخي، 1987م، صفحة 200/ 201)وكأم يحيى الجلالمية زوجة أبي ميمون التي انشأت مدرسة لأهل امسين قامت بالتدريس فيها(البغطوري، 2017م، صفحة 155_158)، وأبو هارون

موسى بن يونس الجلالمي النفوسي(ق4هـ) الذي جمع بين غزارة العلم ووفرة المال أسس مدرسة خاصة بالجبل كغيره من العلماء الأغنياء(يحيى، معمر، 2008م، صفحة 240).

وحرص العلماء على ضمان استمرار الدور الذي من أجله تأسست هذه المؤسسات والهدف من إنشائها، فمدرسة أبوزيد التمزغورتي(المصغورتي)(ق3هـ) ذهب إليها الشيخ أبو عيسى الطرميسي(ق7هـ) وترك مدرسته التي أنشأها ليديرها طلابه، بعد أن عرف أن مدرسة التمزوغورتي بدأت تتدهور وضعفت مهامها التعليمية والدينية(يحيى، معمر، 2008م، صفحة 348)وهكذا تسلسلت هذه المدارس بين أحفادهم على مدى قرون، وصل التعليم دروته معهم بالغزارة والتنوع.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المدارس تسير على المنهج الإسلامي وتُخرج الخطباء والقضاة والفقهاء وعلماء اللغة العربية وفروعها ومحفظي القرآن وعلومه والفلكيين والمتخصصين في شتى العلوم، خاصة أمور العقيدة التي هي أصل التعليم الديني عند النفوسيين.

وكما أشرنا إلى أن هذه المؤسسات العلمية تم إنشاؤها بجهود ذاتية من قبل العلماء، فالجدير بالذكر أن التعليم فيها كان بدون مقابل لأفراد المجتمع كبارًا وصغارًا، طلبًا للأجر والثواب وإسهامًا من العلماء في أعمال الخير والإصلاح ونشر العلم. وانتشرت العديد من هذه المؤسسات التي واكبت المسيرة الإصلاحية لعلماء نفوسة فقويت أركانها وأدت الغرض من تعميرها وتأسيسها، فكان لها دور في تخريج ثلة من العلماء الذين أسهموا في نهضة المجتمع النفوسي على كافة الأصعدة وفي كل المجالات ولكن لا يسعفنا المقام لذكرها كلها كمدرسة أبي الربيع سليمان بن هارون اللواتي(ق3هـ)، مدرسة أبي عيسى الطرميسي في طرميسة بالجبل، ومدرسة أبي محمد التمصميصي، ومدرسة أبي ساكن الشماخيبيفرن(يحيى، معمر، 2008م، الصفحات 336-355).

3. 3 إرساء قواعد القضاء:

حرص علماء نفوسة على أن يتساوى الجميع ويعم العدل بين أفراد المجتمع، فكان القضاء في مقدمة الخطط والمناهج التربوية التي أهتموا بإصلاحها، وذلك لمسؤولية هذه المؤسسة عن عدالة الأحكام ورسم الهوية الإسلامية التي تهدف لنشر العدل والسلام في المجتمعات الإسلامية، فاهتموا بإعداد القُضاة عن طريق مناهج التعليم سابقة الذكر للإلمام بالعلوم الدينية والفقهية وتدريبهم بحضور المحاكمات وفض الخصومات والنزاعات، بالإضافة إلى حرصهم على توفر الشروط الشرعية للقضاة كالكفاءة والنزاهة، وأهليتهم لذلك المنصب الحساس كالتجرد من العصبية القبلية وغيرها من الأمور، وأن يكون عمل القاضي مستقلاً مبني على قاعدة العدل والمساواة بين الجميع حرصًا على سلامة هذه المؤسسة التي تحيا بها الأمم، وقد قام علماء نفوسة بعمل الاختبارات المتنوعة والعملية لمن

ينوى تولي هذا المركز، وهي عملية أشراف من باب المنهج الإصلاحي لعلماء نفوسة واهتمامهم بقيام العدل، فعندما أرادوا أن يستقضوا شيخًا امتحنوه بالتجربة التي استلزمت إرسال رجلين إلى منزل الشيخ ليختصما عنده، وقد استطاع انصافهما(الوسياني، 2009م، صفحة 278)فنجح وتم قبوله للقضاء، وعندما أرادوا امتحان شيخاً آخر، قالت لهم عالمة من عجائز الجبل: أرسلوه عندي؛ لتجربته، ويبدو أن امتحان القضاة يتطلب جهدًا لتمثيل مسائل صعبة تحتاج لفطنة ودراية فقهية ودينية من الممتحَن لحلها، وعلى من يضع الامتحان أن يكون ملمًا بكل المسائل الفقهية والدينية وعلى درجة من الذكاء والحنكة، وهذه العجوز كانت أهلاً لهذه المهمة بالجبل، فعندما وصلها الشيخ أخذت عجينًا فعملته رغيفًا فجعلته في المقلاة، وخرجت عنه وتركت الشيخ في المجلس، والرغيف والمقلاة على النار، فترك الرغيف يحترق ولم يقلبه، والشيخة لم تعد إلا بعد احتراق الرغيف الذي لم يكلف نفسه تقليبه أو تغيير موضعه، فقالت للعلماء ليس بصاحبكم، هذا رجل متكبر مضيع، أو معجاز مهين، فاستبعدوه(الوسياني، 2009م، صفحة 278)، وأرسلوا لها شيخ آخر، فجربته العجوز بما جربت به الأول، فقام إلى الرغيف فجعل يقلبه حتى نضج، فعادت فوجدت رغيفها نضجًا فأخبرتهم بذلك فاستقضوه(الوسياني، 2009م، صفحة 279)وقد تقلد العديد من علماء نفوسة هذا المنصب لما له من أهمية بالغة بحيث يؤهلهم للاحتكاك بأفراد المجتمع ويخلق لهم علاقات مع كل الطبقات الاجتماعية لحلحلة مشاكلها وخصوماتها ويجعلهم ملاذًا للمظلومين والمقهورين ويقربهم من النخبة السياسية لتتيسر لهم مراقبتها حتى لا تتجاوز حدودها.

4.جوانب من إصلاحات علماء نفوسة الاجتماعية:

4. 1أعمال البر والإنفاق:

إن دور علماء نفوسة لم يقتصر على التعليم وبناء المؤسسات والاهتمام بتأهيل القضاة، بل تعداه إلى المساهمة في أعمال البر والنفقات الأخرى التي تظهر ملامحها في كل مدينة بالجبل، فأصحاب تلك المدارس أرفقوا مدارسهم بأقسام داخلية للعناية بالغرباء وإيواء طلاب العلم بعد الازدحام الذي لازم تلك المدارس في تلك الأزمنة من خارج الجبل، وانفقوا عليهم واطعموهم طوال فترات الدراسة التي تصل لسنوات، ومن أمثلة هؤلاء العلماء المشهورين بالخير والصلاح الشيخ أبو سهل البشر بن محمد النفوسي(ق4هـ) كان يعطى لطلاب العلم صرائر الدراهم من زكاة ماله(البغطوري، 2017م، صفحة 322)وأيضاً الشيخ أبو عبدالله محمد بن سليمان(ق5هـ) كان ينفق على طلابه، فكان يكسيهم من ماله، فإذا أقبل الشتاء اشترى لهم أكسية جديدة فيها دفء، وإذا أقبل الصيف اشترى لهم أكسية خفيفة برسم الصيف، ويدخر الأخرى للشتاء ويخرج لهم كل يوم ما يقيم طعامهم وإدامهم، وكان يفرق الدنانير على الطلاب في شروس(الدرجيني، 1965م، صفحة 417)(الشماخي، 1987م، صفحة 78)، والشيخ الحاكم بنفوسة أبو يحيى زكريا بن إبراهيم الباروني(ق6هـ) الذي يعد موسوعة علمية في كل مجالات العلوم، فبعد أن قام بإنشاء

مدرسة خاصة بالجبل بدأ ينفق على أقسامها الداخلية من ماله، وعلى طلابه الذين يتراوح عددهم بين الخمسين والمائة(يحيى، معمر، 2008م، صفحة 265)وكان يبعث الجمال(الإبل) من بلده إلى قرية دجي ذات المسافة القريبة والأشجار المتصلة لتحمل له الطعام لنفقة الطلبة(الشماخي، 1987م، صفحة 190)،"وهو الذي تصدق على جميع جبل نفوسة، وبني يفرن، وككلة، بشيء من الدراهم بين خمسة دراهم إلى أربعة لكل بيت ومؤنة من زيت وغيره"(الشماخي، 1987م، صفحة 188)، وأيضًا كان الشيخ عيسى بن عيسى الطرميسي(أبوموسى) (ق7هـ) يرسل إلى يخلف الفرسطائي ببرغورة يطلب منه الزكاة التي ينفقها على الطلبة والتلاميذ(الشماخي، 1987م، صفحة 190)، وهكذا أسهمت هذه النفقات في الحياة العامة والحياة الاجتماعية بشكل خاص، وبرزت من خلالها الملامح الإيجابية لهذا الدور الإصلاحي في المجتمع النفوسي، فخلقت توازنًا اجتماعيا أزال الفوارق بين الأغنياء والفقراء وساعد على التقارب والألفة والمحبة بين أفراد المجتمع وفتح الباب على مصراعيه لطلاب العلم الوافدين.

ولقد تعددت جهود العلماء في الدور الإصلاحي الاجتماعي بجبل نفوسة فمن جانب آخر وصفوا بالكرم الذي له قيم نبيلة حث عليها الإسلام، فاهتموا بإعداد الطعام وتقديمه جاهزًا كوجبات غذائية للطلاب والأضياف الذين ينزلون الجبل، ومن أبرز تلك الاهتمامات "كان أبو هارون الجلالمي (ق3هـ)يصنع طعامًا للطلاب"(البغطوري، 2017م، صفحة 160)، ويبدو أن ذلك كان بشكل مستمر طوال فترة إقامة الطلاب، وتذكر السير أن مصلوكن التائب المرساوني (ق3هـ) "قل من طلاب هذا الجبل من لم يأكل طعامه"(البغطوري، 2017م، صفحة 290)، مما يشير كذلك إلى مداومته على تقديم الطعام لكل الوافدين للجبل وفي كل الأوقات ويشير أيضًا لحالته الميسورة، وكان أبو محمد عبدالله بن مطكود يترك لطلابه مفتاح مخزنه فكل من احتاج منهم إلى شيء أخذه(البغطوري، 2017م، صفحة 298)وكان أبو زكريا يحيى بن أبي عبدالله التندميري(ق4هـ) من المسارعين لأعمال الخير، فكان يجمع أحمال من الطعام ويوزعها على الفقراء بالجبل(البغطوري، 2017م، صفحة 356)، ولم يكن للإنفاق حدود، ولم يقتصر على الطعام؛ بل شمل كل ما يحتاجه غيرهم، ووصل الأمر إلى التصدق بملابسهم التي يرتدونها لكساء وستر الفقراء وحمايتهم من البرد، فيذكر أن أبا محمد خصيب التمصميصي تصدق (بجبته) فرأته زوجته بغير جبة فسألته: من عرَّاك؟(البغطوري، 2017م، صفحة 183)(الشماخي، 1987م، صفحة 9)عرَّى هذا العالم نفسه وآثر غيره عليها لشعوره بأن ذلك الفقير كان أحوج لهذه الجبة منه، وهكذا عرف علماء الجبل بكثرة الإنفاق والصدقات التي كانت من أجل الأعمال وأعظمها، حتى أن البعض تصدق بكل ما يملك بدافع ضرورة الإنفاق والعطاء سرًا وعلانية للإسهام في المنظومة القيمية بالمجتمع النفوسي الإسلامي وكل ذلك نابع من علو الهمة وسمو الرؤية الإيمانية عند هؤلاء العلماء.

ولا تتوقف تلك المساعدات والصدقات عند طلاب العلم، بل تعدتها إلى الأضياف الذين اتحفوهم وأحسنوا نُزلهم وقضوا لهم حوائجهم، فأهل ويغو عندما كانوا يتسوقون من سوق جادو سمعوا ما حل بإحدى العجائز فجعلوا لها الصلة (المال)(البغطوري، 2017م، صفحة 331)وفتح علماء نفوسة منازلهم للأضياف في كل وقت، فقد ذكر أن أبا القاسم البغطوري(ق4هـ) قال يومًا للشيخ أبي المهاصر النفوسي: إذا رأيت مصباحًا على مغلاق منزلي فسر إليّ فبت عندي، فقد كان الأضياف عندي، وأصبح كلما أبصر المصباح مشتعلاً ذهب فأكل مع الأضياف في بغطورة وحضر المجلس هناك(البغطوري، 2017م، صفحة 280)، وكان أبو محمد عبيدة بن أفلح (ق4هـ) يمكث عنده المشايخ أربعة أشهر وقيل ستة أشهر(الشماخي، 1987م، صفحة 25)، وكان "يطعمهم من خالص ماله"(الشماخي، 1987م، صفحة 25)، وفي هذه العبارة إشارة إلى أن بعض المستضيفين للأضياف يُرسل إليهم الطعام من بيوت أخرى بالجبل، فيتعاونوا على ضيافة الغرباء، والشيخ أبو موسى عيسى بن زرعة التملوشائي (ق4هـ) كان مريضًا ومقعدًا وهو سخي الكف يذكر أنه فتح كوة من داره مقابل موضع قعوده فيعطى منها للفقراء(الشماخي، 1987م، صفحة 11)(البغطوري، 2017م، صفحة 191)، وروي عن الشيخ أبي علي الفاساطوي (أبالي)(ق5هـ) أنه كان يذبح كل يوم شاه للأضياف(البغطوري، 2017م، صفحة 325)،وهذا مؤشر على الحالة الميسورة لبعض العلماء بنفوسة وبالمقابل كان بعضهم من الفقراء، وقد كان الشيخ أبو الربيع بن أبي هارون إذا استقبله رمضان أرسل إلى الشيخ طاهر بن يوسف والعجائز وفيهن أم ماطوس(ق4هـ) فيجعلون رمضان عنده(البغطوري، 2017م، صفحة 149)، وطاهر بن يوسف من مشايخ تونس كان من المعسرين فنزل للجبل وجمع له عيسى بن محرز(ق4هـ) مالا وصلة(الشماخي، 1987م، صفحة 30)وهكذا كان هدفهم مرتكزًا على البعد الديني الذي يعطى للبذل والإنفاق قوة إيمانية، نتج عنها وضع قواعد وأسس للتآخي والتعاون بالجبل، وهذا يبرز أهمية العلماء الذين خصهم الله بالفضل ودورهم الإصلاحي في المجتمعات الإسلامية.

4 .2 كفالة اليتامى ورعاية الجواري والنساء:

كما كان لليتامى بمدن الجبل نصيب من اهتمامات علماء نفوسة بأفراد المجتمع حيث تتم كفالتهم، ويتم الصرف عليهم، والمحافظة على أموالهم وأرزاقهم حتى يصل صغيرهم سن الرشد، فالشيخ موسى بن جعفر (ابو المهاصر) تكفل برعاية يتيم بعدما قام مستخلفه بسرقة رزقه وتصرف في أمواله، وظل ينفق عليه حتى بلغ سن الرشد(الوسياني، 2009م، صفحة 266)واستغاث بالشيخ ويدرن بن جواد (أبو معروف)(ق3هـ) طفل يتيم بعد أن باع كفيله سيف والده في السوق، فلبى الشيخ الاستغاثة وقام بكفالته وأعاد له سيف والده(الوسياني، 2009م، صفحة 241)، كما كفل الشيخ أبو أيوب حسن الجادوي يتيمًا فقام به واحسن تربيته(البغطوري، 2017م، صفحة 322)، ووجد الشيخ يصلتين(أبو مسور) طفل يتيم في مسجدهم فتولى تربيته وإعالته(البغطوري، 2017م، صفحة

294)، ويروى أن أبا مهاصر ذهب ذات مرة إلى زعرارة فركب على حمارته فتبعها فلوها(صغيرها) فجاز على جماعة هناك جلوسًا ومعهم يتيم فقالوا له: قل للشيخ أن يعطيك هذا الفلو فسأله اليتيم، فوهبه له، فلما أراد الشيخ المسير لم تطاوعه الحمارة لفرقة ولدها، فقال لهم: هل استصلحتم أن تأخذوا لليتيم فيه دينارين، قالوا: نعم فأمرهم أن يستخلفوا اليتيم خليفة، فاشتراه منه بدينارين(البغطوري، 2017م، صفحة 277)، ويذكر "أن لرجل جملاً أكل من شجرة ليتيم في كاباو فجعل عليه المشايخ لكل اثنى عشر غصنًا درهمًا، وأما الزيتونة فعلى كل سبعين غصنًا درهمًا، وإن كانت على غصن واحد فربع دينار"(الشماخي، 1987م، صفحة 184).

ناهيك عن معاملة العلماء للجواري والرفق بهن يذكر أن الشيخ مهاصر السدراتي (أبومرداس)(ق3هـ) الذي عرف "برحمته بالضعفاء وشدته على الفجار"(الوسياني، 2009م، صفحة 257)، كان يقعد للخدم على الطريق الذي يأتون منه من الفحص(المزارع) إلى المنزل إذا رجعوا من الحطب، ليعطي لهم قبضة، قبضة من الأكل(البغطوري، 2017م، صفحة 165)، والشيخ حجاج بن ويفتين الويغوي(ق3هـ) أرسل جاريته لتسقي له الماء فاستبطأها، فخرج في طلبها وجدها في الطريق وقد حملت القربة واستندت بها على حائط فغلبها النوم، فنزع القربة من تحت رأسها ولم يوقظها ووضع بعض ملابسه مكان القربة لتستند عليها(البغطوري، 2017م، صفحة 247).

ولم يتوقف عمل العلماء عن القيام بأعمال البر وكفالة اليتامى بل تعداه إلى الاهتمام بالمرأة وحفظ عرضها وحل مشاكلها وما يكدر عيشتها والقيام بواجبهم الاجتماعي تجاه الأسر العفيفة، فيذكر أن الشيخ أبا عامر التصراري(ق3هـ) قد جاءته امرأة تشكوه ابنتها الشابة التي منعت نفسها من التزوج، فجمع لها العلماء وتوجه لبيتها في تندميرة فاقنعوها، "فقالت لهم: لا أتزوج إلا أن تأذنوا لي في الاختيار بمن شئت منكم"! فأذِنوا لها، فاختارت الشيخ أبا عامر التصراري (ق3هـ)، فجلبها إلى داره في حينه(البغطوري، 2017م، صفحة 222)(الشماخي، 1987م، صفحة 181)، ويذكر أن أبا عبدالله محمد بن الخير (ق3هـ)اجتمع هو والمشايخ لزيارة امرأة كتبت لهم تشتكي زوجها الذي تزوج عليها، وتركها فقال لهم يحيى بن يونس: سأجزيكم ومكث عندها ما شاء(الشماخي، 1987م، صفحة 203)، وامرأة أخرى اشتكت للشيخ أبي عبدالله محمد بن بكر النفوسي (ق5هـ) تضررها من غيبة زوجها عنها، فبعث الشيخ رجلين في شأنها، فلما وصلا واستوثقا من ذلك خلصاها منه(أبو زكريا، 1982م، صفحة 274)، وهناك العديد من الوقفات الجادة من قبل العلماء مع نساء الجبل وحرائره اللاتي كُنّا بحاجة للمساندة والدعم، فكما ذكر صاحب كتاب مفاخر البربر "البربر جعل الله في قلوبهم الرأفة والرحمة يشد بهم عضد المسلمين"(مجهول ، 2005م، صفحة 183)، فهذا الشيخ يحيى بن يونس(ق3هـ) الذي قام بإنقاذ عجوز من الموت كانت بحاجة إلى اللبن والغذاء، فجاءها به ووجدها قد اختلفت أسنانها جوعًا(الوسياني، 2009م، صفحة 254)، ويذكر أن امرأة

ولدت صبيًا وليس لها إلا ثوب واحد ترقد في بعضه وينام ولدها في الجانب الآخر من الثوب، فإذا أصبح نزلت عين وليموجي وغسلت بعض ثوبها وتلبس بعضه، ثم تلبس الجانب الذي غسلته بعد أن يبس، وتغسل الجانب الآخر، وتغسل جسدها، وهكذا حالها حتى تم لها سنة، فسمع بذلك الشيخ ابن خليل من أهل منزلها فاشترى لها ثوباً(البغطوري، 2017م، صفحة 282)، وبهذه الأعمال نجد لعلماء نفوسة حضور متميز في العملية الإصلاحية بالمجتمع النفوسي التي تشير إلى تحملهم مسؤولية الجبل وسكانه بتقديم الرعاية والإيواء والإنفاق ونشر العلم والثقافة وكفالة اليتامى والاهتمام بقضايا المرأة لإقامة مجتمع سليم متكامل يسوده العفو والإخاء.

4. 3 العناية بالمصالح العامة:

كان علماء نفوسة صمام أمان للمجتمع النفوسي فاهتموا بالمصالح العامة وشاركوا في العديد من الأعمال التي تعود بالفائدة على الجميع بمدن الجبل، ومن مآثرهم يذكر أن أبا محمد القنطراري النفوسي كان يصلح ما وعر من طريق جبل تالجيت حتى وقت القايلة يمضي للصلاة بجادو(البغطوري، 2017م، صفحة 363)، والشيخ ويدرن بن جواد(أبو معروف) كان يقطع أغصان الأشجار التي زادت حتى منعت السابلة، فيكسرها ويرمى بها إلى بستان صاحبها(الوسياني، 2009م، صفحة 245)، وكان أبو محمد سعد بن يونس عندما تخرج خدمه(إمائه) لجمع الحطب يخرج خلفهن يتبعهن ليصلح المواضع التي يقلعن منها الحطب لئلا تجمع الماء فيها فتمنع سريانه إلى أرض الناس(أبو زكريا، 1982م، صفحة 138)،وشاعت الأوقاف والأحباس بين علماء جبل نفوسة خاصة وقف الكتب لطلاب العلم رغم أن السير لم تسعفنا بأنواع أخرى من الأوقاف واكتفت بروايتين، فقد أوصى الشيخ أبو الربيع سليمان بن أبي هارون (ق3هـ) عند وفاته بقوله: "مصاحفي وكتبي وجبابي كلها حبس لوجه الله لا تورث ولا تباع ولا توهب"(البغطوري، 2017م، صفحة 146)، ليضمن هذا الشيخ استمرار النشاط العلمي بالجبل، ونحى هذا النحو أيضًا الشيخ عيسى الطرميسي (أبو موسى) الذي أوصى في القرن السابع بأن تكون مكتبته العامرة بالكتب وقفًا على طلبة نفوسة وعلمائها(الشماخي، 1987م، صفحة 193)،فاستفاد منها طلبة العلم وانتفع بها المسلمون.

وتستمر مبادرات علماء الجبل في الحرص على المصلحة العامة (وكان للشيخ عمروس بن فتح النفوسي بغلة يستقي الناس الماء عليها من الجبل نازلين في الخصوص فما كان ما يغتسل به للصلاة، فأرادوا أن ينزلوا إلى الجبل بالبغلة فيسقوا الماء على البغلة، فقال لهم: إن كنتم تجعلون لها هكذا كل يوم، فلا ينفعها الربيع، فكان يضرب التيمم فتركوها)(الشماخي، 1987م، صفحة 225)(البغطوري، 2017م، صفحة 284)، وتنبيه من يضر بالمصالح العامة، وردع كل مخطئ، وقد عرف عن الشيخ أبي موسى تمسكه بالأمر والنهي، وتقديم النصيحة والإرشاد والموعظة، وعندما كان يتردد على الخط (الطريق) لقي رجلاً ساق شاة للذبح على الطريق، فأمره بذبحها خارج الطريق ونهاه عن فعل ذلك مرة أخرى(الشماخي، 1987م، صفحة 23)، وفي موقف آخر وُضِع حد

للتجاوزات المسيئة، فقد عُوقب رجل من أهل "اغرم اينان" بالسجن في جادو عندما رعى غنمه في الخط(الطريق)(البغطوري، 2017م، صفحة 343)، ويذكر أن الشيخ أبا عمران موسى النفوسي (ق5هـ) وجد غنمًا في الخط تحت زيتونة فقام فيها يهش عليها بثوبه فطردها حتى أدركه العطش ولحقه الحر فوقع صريعًا(البغطوري، 2017م، صفحة 361)،هكذا استخدم علماء نفوسة الشدة والعقاب تجاه من يسيئ لحرمة الشارع والطريق والأماكن العامة لردعه.

4 .4 الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إن قضية الإصلاح تشغل بال كثير من المصلحين في كل الأزمنة، ويقلق العلماء والفقهاء في بلاد الإسلام كثيراً عندما تتفشى ظواهر سلبية بمجتمعاتهم لعلمهم بأحكام الشرع وأهدافها النبيلة وسمو مبادئها، وبما أنهم قادة المجتمعات الإسلامية فلهم دور في توجيه الرأي العام وتقديم الموعظة سواء تقلدوا وظائف إدارية أم لا، فعادة ما يسارعون بالمبادرة للقضاء على تلك الظواهر والحد من انتشارها بكافة السبل ومعاقبة مرتكبيها، ومن خلال استقراء السير الإباضية تظهر إشارات إلى انتشار بعض الظواهر في مدن وقرى جبل نفوسة تطلبت من المصلحين والمراقبين التدخل للإصلاح ورأب الصدع في المجتمع وتعديل المسار على المنهج الإسلامي السليم.

وقد لعب علماء نفوسة دورًا مهمًا في تاريخ جبل نفوسة الإسلامي من خلال ترجمة التزامهم الإسلامي إلى واقع عملي بتقديم كافة الخدمات لأفراد المجتمع عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحاربوا كل عمل مخل بالآداب العامة، والمحرمات التي يرفضها الشرع، وعملوا على تحصين المجتمع النفوسي من الفساد بقدر المستطاع، وسجلت لنا كتب السير عنايتهم بالنهي عن المنكر كواجب ديني وأخلاقي وتحملوا في سبيل إنكاره مشاق كثيرة كالسفر بين أودية الجبل الوعرة.

ومن أبرز المظاهر السلبية المنتشرة بالجبل والتي حاربها العلماء بشدة ظاهرة انتشار الخمر، حيث تذكر السير أن الشيخ النفوسي أبا عمرو ميمون بن محمد الشروسي(ق4هـ) كان حاكمًا فسمع بمجلس خمر في الفحص(حقل) بجادو، وهو موقع يبعد عن شروس بستة أميال، فانتقل إليهم، وكسر آنيتهم، وأراق شرابهم(الشماخي، 1987م، صفحة 232)، وروي أيضًا عن الشيخ أبي عمران موسى أنه كان شديد على أهل النفاق، دخل لبيت رجل من أهل اميري فشم رائحة خمر في المنزل، فقام ونظر إلى الخوابئ فوجدها امتلأت خمرًا فأخذ عمودًا فكسرها(البغطوري، 2017م، صفحة 361)، وهكذا حمل علماء الجبل رسالة سامية هدفها العودة بالناس إلى ما كان عليه سلف الأمة الإسلامية من التمسك بكتاب الله وسنة نبيه.

وكان للنساء العالمات اللاتي اشتهرن بالصلاح والتقوى بمدن الجبل دور في التوجيه والإرشاد والوعظ أشهرهن الشيخة زيديت بنت عبدالله الملوشية(ق3هـ) التي قامت بوعظ النساء وزجرهن عندما أخذن في الغناء أثناء عمل الصوف وهي بينهن، فذكرتهن بأمر المعاد والحساب(الشماخي، 1987م، صفحة 11).

وقد أدرك العلماء بالجبل خطورة المهمة التي رفعوها على عاتقهم فحرصوا على خدمة دين الله وقادوا تيار الإصلاح على عاتقهم بإصرار وعزيمة، فالشيخ أبو طاهر الجيطالي النفوسي(ق8هـ) من المشايخ الذين توجهوا لإنكار المنكر بالجبل وفي أحدى المرات علم بوجود الخمر عند بعض الناس، فسار إليهم ومعه ثلة من الفقهاء وأهل الصلاح بقصد تغيير هذا المنكر، ولكنه لم يستطع ذلك، لمنع أهل المتهم له برده عن عزمه، وفسر يحيى معمر هذا التصرف من قبلهم بأن "عصبية الدم ساقتهم إلى معارضة حكم الدين"(يحيى، معمر، 2008م، صفحة 351)مما أجبر الشيخ على التأسف لهذا الحال، وقرر الرحيل من الجبل رغم تعلق الناس به ومحاولتهم منعه وثنيه عن قراره، فقال لهم: لا أقيم ببلد لا أقيم فيه الحق ولا آمر ولا أنهى(الشماخي، 1987م، صفحة 197)، وانتقل من جبل نفوسة إلى جزيرة جربة، وهذا مؤشر على أن العلماء كانوا يواجهون صعوبات كبيرة عند قيامهم بواجبهم الديني والأخلاقي بالمجتمع النفوسي خاصة أمام من فشت بينهم أفكار العصبية، فظهرت فيهم لدعم الفساد ولتكون غطاء اجتماعي يحميهم من العقوبة، ورغم كل ذلك تستمر مسيرة الإصلاح التي عزم عليها علماء نفوسة منذ القرن الثالث الهجري إلى القرن الثامن الهجري حيث كان لهم دور في تنبيه الناس ونصحهم فجمعوا بين الرحمة والشدة عليهم، يذكر أن الشيخ أبان بن وسيم غضب على شخص أكل في رمضان قبل أن يتثبت من عدم طلوع الفجر "فتجهم له وأغلظ له وشدد عليه ثم رخص له أن يعيد ذلك اليوم"(الوسياني، 2009م، صفحة 250)، ويتابع العلماء القضايا الاجتماعية المختلفة وتحملون مشاق السفر من أجل إنكار المنكر فالشيخ سليمان بن موسى التلموشائي (ق4هـ) وهو من قرية ابناين تم عنده مشهور شهر شوال فأكل بعض الناس بالمنازل، ولم يعمل البعض فسمع بذلك فخرج مع طلابه إلى جادو لشأن ذلك(البغطوري، 2017م، صفحة 143)، وخرج الشيخ النفوسي أبو هارون التملوشائي (ق4هـ) إلى "تندنميرت" –إحدى قرى الجبل– عندما علم بأن أهلها يلعبون بالدف في عرس فأنزلهم السجن(يحيى، معمر، 2008م، صفحة 245)، وتكرر هذا المشهد مع الشيخ سليمان بن موسى التلموشائي حين قام أحد تلامذته بإنكار هذا المنكر ولم يستطع (أن تلميذًا من تلاميذ أبي الربيع سار نحوه ليتعلم حتى وصل فجراسفن فصادف هناك جماعة من أهل تندونمرت وهم في عرس يلعبون بالدف فقام التلميذ ليكسرها لهم فامتنعوا فسار حتى وصل الشيخ سليمان وأخبره بذلك)، فقام وركب الشيخ بغلته إليهم وأنزلهم في الحبس(البغطوري، 2017م، صفحة 144)، عقابًا لهم، ونلاحظ هنا سرعة توجه الشيوخ إليهم ومعاقبتهم.

ومن حرص العلماء على أن تكون جدوة الإسلام متقدة في ربوع الجبل، غضب أبو الخير توزين الزواغي(ق5هـ) على رجل عندما نظر إليه وقد سبق أباه في الطريق إذ لم يقر أباه(البغطوري، 2017م، صفحة 307).

ومن شدة حرص علماء نفوسة على اتباع المنهج الإصلاحي والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تناصحهم فيما بينهم إذ أخذوا يذكرون بعضهم البعض بعظمة هذا العمل الذي يقربهم من الله ويرفع منازلهم بالدنيا والآخرة وتستقيم وترتقي به مجتمعاتهم ويصلح حالها وأحوالهم، فتروي كتب السير النفوسية وصية إحدى العجائز الصالحات لأختها العجوز المُصلحة التي تقطن في قرية بعيدة عنها، تذكرها وتوصيها بالاستمرار في المنهج الإصلاحي الذي كانتا عليه سابقًا أيام العنفوان "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (روي عن عجوزين واحدة من توغرمت والأخرى من إكرين كانتا تجتمعان في مصلى يقال له مصلى اوتوغرست فتتذاكران هناك ما شاء الله، فترجعان الى منازلهما فكان هذا حالهما حتى كبرتا وانقطع ما بينهما من الزيارة فأرسلت إحداهما إلى الأخرى فقالت لها: إياك يا اختاه أن تتركي سهمك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كمن أحي مسلمين، ومن ترك سهمه من الأمر بالمعروف والنهي كمن قتل مسلمين وباع سهمه من الجنة)(الشماخي، 1987م، صفحة 253)(البغطوري، 2017م، صفحة 133)، وتروي لنا السير أيضًا قصة عالم نفوسي آخر يدعى أبو يعقوب التغرميني(ق5هـ) الذي كان شديدًا في الأمر والنهي، وكان لنصحه صدى ووقع في النفوس، فعندما أتاه رجل بنميمة عن رجل أخر قال له الشيخ: لا يرضى ذلك الرجل أن يتكلم بهذا وإنما قلته أنت، فقطع هذا الرجل النمائم عن نفسه من هناك(البغطوري، 2017م، صفحة 360)، وهكذا كان دورهم الإصلاحي يسري في النفوس للوصول للهدف والغاية المرجوة من وجودهم في المجتمع الإسلامي.

وتظهر بصمات العلماء في جبل نفوسة واضحة في رقابة الحكام والاعتراض بالحق على أخطائهم بهدف تأمين حياة الناس وحماية ممتلكاتهم من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتطبيق مبادئ الإسلام السامية وخدمة المجتمع، فينصحون دون خوف أو وجل من هؤلاء الحكام سواء كانوا قضاة أو أئمة وغيرهم، وأي كان نوع الفساد، وسواء كان بقصد أو من غير ذلك، فالنقد جاهز والاعتراض ثابت على أسس، من ذلك ما قام به أبي الليث الجناوني(ق3هـ)عندما خرج إلى جادو نبه الحاكم أبا منصور اليأس، وعمروس بن فتح القاضي(ق3هـ) –الذي تمتع بكفاءة عالية في هذا المنصب– أثناء ضربهما لرجل، ورأى قد يكون ضربهما له ظلما وبدون تقصى عن الحقيقة، فسألهم عن سبب الضرب؟ قالا: كتب فيه العامل من "تيميتى" بأنه فعل كذا وكذا، فقال لهم: أسواد في قرطاس تهرقون به الدماء؟ فقال: ماذا نفعل الأن يا شيخ وقد جعلتنا هاهنا نفوسة منديلاً يمسحون فينا أيديهم؟ فقال للحاكم: ترده إلى الحبس وترسل الأمناء إلى العامل فإن صح الخبر وثبت عليه ذلك فنفذ فيه الحق وأن لم يصح فقصاصه

في ضربه، فبعثوا إلى العامل فلم يصح عليه ذلك وتبين أن الفاعل غيره فأخرجه الحاكم من محبسه، وقاصصه في ضربه(الوسياني، 2009م، صفحة 252).

وأيضًا قام الجناوني (أبوعبيدة) الذي عرف بصلاحه والحظوة بمكانة عند الإمام الرستمي عبدالوهاب بن عبدالرحمن بن رستم، بتنبيهه وذلك عندما وصل الرستمي إلى نفوسة ونزل في ايدرف وأطلق أهل عسكره مواشيهم في الأصل(الحقول) فكان الفساد منهم، فأتاه أبو عبيدة الجناوني النفوسي فقال له: إن أصحابك أطلقوا مواشيهم في الأصل فكان الفساد منهم، فإن لم تعلم أعلمناك، فإن علمت وتركت فليس بيننا وبينك إلا هذا، وضرب على قائم سيفه بيده، وكان الإمام عبدالوهاب متكئًا فقعد على نفسه وقال: صدق والله، وقد قالها ثلاث(الشماخي، 1987م، صفحة 162).

إن منهج الجناوني تجاه الإمام الرستمي كان غايته الإصلاح حيث وعظه ونبهه، فكان لكلماته وقعًا على نفس الإمام وأكثر تأثيراً، وهؤلاء من قال فيهم أبو زكريا: أنهم ينهون عن الأخلاق السيئة الدنيئة وأخلاق السوء وكل ما يدنس دين الله وما يجي إلى تدنيسه من المطامع(أبو زكريا، 1982م، صفحة 285)، وفي المقابل أيضًا نلاحظ تقبل الحكام لتلك النصائح والملاحظات التي تأتي من العلماء والعمل بها.

ولا يتأخر علماء نفوسة عن عمل الخير في المجتمع من باب بذل الجهد في الإصلاح حتى وإن كان ذلك المنكر في مكان بعيد عن مقر سكنهم ومدنهم، فيذكر الشماخي أن "فساداً وقع بمدينة غدامس وهي مدينة تقع في واحة صحراوية على حدود الجزائر، اعتنق سكانها المذهب الإباضي منذ وقت مبكر وكانت على علاقة مع جبل نفوسة(ليفيتسكي، دراسات شمال افريقية، 2006م، صفحة 101)، وتبعد سبع مراحل من نفوسة، عندما سمع الشيخ الحاكم آنذاك سهل النفوسي (أبو الفضل) (ق4هـ)بذلك الفساد خرج إلى غدامس ليصلح فسادهم وليزيل الحدث"(الشماخي، 1987م، صفحة 233).

وقد تزعم بعض العلماء بنفوسة مهمة تفقد المزارع والطرقات للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان الشيخ محمد بن يانس الدركلي عندما يرى ضررًا ما يصرفه أو يحاسب مرتكبه، ويذكر أنه وجد يومًا ثلاثة أخوة في الطريق فضربهم في الحق، فلما أمسى دخلوا عليه وضربوه ضربًا عنيفًا(الدرجيني، 1965م، صفحة 297)، فلم يستطع الشيخ القيام لصلاة الفجر فقال أهله: ما احتبس عن المسجد إلا لشأن، فدخلوا عليه فوجدوه راقدًا فسألوه فأخبرهم بما صُنع فيه، فقاموا ليأخذوهم فقال لهم: اتركوهم، جعلوا لي شيئًا وجعلت لهم شيئًا(البغطوري، 2017م، صفحة 224)، ولم تشر المصادر إلى نوع الفساد الذي أحدثه هؤلاء الأخوة ولكن تعرض هذا العالم وغيره من العلماء (سوف نتطرق لموقف آخر ضرب الشيخ أبي يوسف وجداليش فيما يلي) للضرب ليلاً بسبب إنكار المنكر، يشير إلى أن وجود العلماء يتفق مع خطورة المهام التي يقوموا بها في المجتمع، وأسلوب الاعتداء الذي يتبعه بعض

المفسدين بالجبل كان نظير محاسبة العلماء لهم ومنعهم من التمادي في غيهم، بالمقابل كانت لهم محبة في قلوب الناس واحتراما ملحوظًا من العامة.

4 .5 تأمين الطرق وحماية عابري السبيل وهداية المسافرين:

من خلال بعض الروايات التي روتها السير نرى أن المجتمع النفوسي أبتلي ببعض قطاع الطرق الذين زعزعوا الأمن في بعض الفترات، ولم يسلم منهم حتى العلماء أنفسهم"خرج أبو مرداس (مهاصر) في قافلة ليمتاروا فوقع عليهم السراق وقطاع الطرق، فاقتتلوا وهزمهم أصحاب القافلة"(البغطوري، 2017م، صفحة 168)، وقد تعرض الشيخ صالح الدركلي (أبوخليل)(ق3هـ) للسرقة والضرب من قبل قطاع الطرق الذين جرحوه سبعة عشر جرحًا(الشماخي، 1987م، صفحة 182).

وبالمقابل فإن علماء الجبل لم يهملوا تلك النواحي فأي حركة لقطاع الطرق كانت تثير حفيظتهم وتجعلهم يشددون المراقبة على الطرق ليغيروا من سلوكيات قطاع الطرق بالموعظة والمحاسبة، ومن العلماء الذين لهم أثر واضح في هذا الجانب أبو الليث الجناوني الذي خرج إلى قوم سمع أنهم نصبوا على قافلة، ولما وصل أحاط به السراق وأصحاب القافلة، وكلا الطرفين يدعي على الأخر أنه صاحب الحمولة فتشابه عليه أمرهم، واجتهد في الموضوع وقام بالاتصال بعمروس (القاضي) ليقوم باختبارهم، فأرسل إلى عمروس في ذلك رسولاً فقال له: إن وجدك رسولى قائمًا فلا تقعد فنزل عمروس عليه ببطانة رق ومحبرة ولما وصلهم ابتدأ في أحد الفريقين فسألهم عما في حمولتهم فيصفون له ما فيها فيكتبه حتى أتى على أخرهم ثم رجع إلى الفريق الثاني فسألهم عما يوجد بالرحل فيصفون له ويكتبه حتى أتى على أخرهم ثم فتش رحالهم فتبين لهم الصادق من الكاذب والسراق من أصحاب القافلة(البغطوري، 2017م، صفحة 194)وبعد التحقيق معهم تمكن عمروس من معرفة الصادق من الكاذب منهم(الوسياني، 2009م، صفحة 232)، وإعادة الحق لأصحابه.

وهذا ما حرصت عليه الشريعة الإسلامية من حفظ أموال الناس، فاهتم علماء نفوسة بالمحافظة على أمتعة المسافرين وأرزاقهم أحياء وأموات، وكان الشيخ أبو يحيى زكريا الفرسطائي(ق4هـ) ممن أخذ عنه بالمعهود والجهد ساعيًا في الصلاح مغيرًا للفساد هاديًا إلى الرشاد(الدرجيني، 1965م، صفحة 317)، ويذكر أنه كان مسافرًا مع أبي هارون موسى الجلالمي في قافلة، فمات رجل من أهل فرسطاء في القافلة، فاستخلفوا لتركته خليفة من بعض الرفقة، وعندما رجع أبو يحيى إلى رحل الميت وجد خليفته قد أخذ من تركته عصبانًا(لحمًا مجففًا)، وصار يطبخها في مرجل الميت، فنزع أبو يحيى المرجل كما هي فباعها، ونزع منه رحل الميت(الشماخي، 1987م، صفحة 8).

وكان لعلماء نفوسة بصمات في طرق السفر كاهتمامهم بخدمة الرفقة، يذكر أن الشيخ النفوسي "محمد بن يانس كان في سفر ومعه أربعة نفر خرجوا من جبل نفوسة إلى تاهرت ارتحلوا نهارهم ونزلوا عند الليل، فعمد محمد بن يانس إلى خيلهم يعلفها، ويأخذ في صنع طعامهم فإذا طعموا وناموا أقبل على الصلاة راكعًا"(أبو زكريا، 1982م، صفحة 103)، وهكذا كل هذه الروايات تبين أن علماء نفوسة كان لهم حضور مميز في المجتمع النفوسي وأن نشاطهم الإصلاحي لا يتوقف أملاً في إصلاح المجتمع، فضربوا المثل الأعلى والقدوة الحسنة لمن أراد السير على نهجهم.

4. 6 الإعانة على نوائب الزمن من قحط ومجاعة:

لقد مر جبل نفوسة بظواهر جغرافية طبيعية نتيجة قلة الأمطار والجفاف، وكل تلك الظواهر تؤدي إلى ضعف الإنتاج الزراعي وهلاك الحيوانات، وكلاهما مصدرًا للغذاء تقوم عليهما الحياة في جبل نفوسة، وهذه الظواهر أسهمت في معاناة الناس وهلاكهم عندما مر الجبل بسنوات تعرض فيها للقحط والشدة، فكان للطبيعة الجغرافية دور في رسم أخلاق علماء الجبل من مد يد العون والإعانة، ومشاركة العامة همومهم وقضاء حوائجهم وهذا الدور البارز للعلماء في هذه المسيرة التاريخية على المستوى الاجتماعي محاولة لتقليل معاناة الناس ومساعدتهم، وحمايتهم منعًا من أن تزج بهم الحاجة للوقوع في الفساد كالسرقة والنصب، ومن هنا استشعر العلماء دورهم الإنساني وواجبهم الديني والأخلاقي للإصلاح فعندما وقع قحط وشدة في نفوسة كان لبعض العلماء الموسرين وقفة مع سكان الجبل منهم الشيخ أبو محمد عبيدة التلاتي النفوسي الذي أخذ ينفق على أهل بلده وقال لهم: من أراد أن يأخذ نصف صاع لغذائه ونصف صاع لعشاءه من أي نوع شاء من شعير أو ثمر أو تين فليأخذ(الشماخي، 1987م، صفحة 253)، وهذه الصنيع أنقذ الكثير من الناس من الهلاك والمجاعة في الجبل، وذهب الشيخ مهاصر (أبومرداس) يحرث على بقرة له فجاز على قرية اكرين وقد أحاط القحط بالناس فرأى ما بهم من الحاجة فتصدق عليهم بالزريعة التي سيزرعها وذبح بقرته التي يحرث عليها فقسمها بينهم(الشماخي، 1987م، صفحة 153)، وقام أبو يعقوب البغطوري في عام شدة وقحط بإطعام80 فارسًا بعد أن أطعم جماعة من الأضياف باتوا عنده وأعطى ويبة(مكيال) شعير علف لكل فرس، وقد سبق وذكرنا أن من عادة هذا الشيخ استقبال الأضياف في منزله، فعندما عاد من المسجد في عام قحط أيضًا وجد على باب داره سبعة وعشرون رجلاً من أهل دمر، فدخل وخلط لهم دقيقًا بالماء فأعطى لكل واحد (البغطوري، 2017م، صفحة 265)، وعندما أراد تلاميذ الشيخ أبو يحيى زكريا بن إبراهيم أن يفترقوا لجدب وبلاء وشدة، وقالوا: أضررنا بشيخنا، وكانوا قرابة الثمانين طالبًا ينفق عليهم، فلما بلغه ما أجمعوا عليه جمعهم على طعام وأراهم المال وقال لهم: ما جمعته إلا لأنفقه عليكم في المسغبة، ولن أسمح لأحد أن ينصرف إلا لحاجة، وأخذ ينفق عليهم حتى زال القحط(الشماخي، 1987م، صفحة 188)، وذكرت أخت الشيخ

عبدالله بن عبدالواحد وقعت شدة عظيمة وأنا طفلة فإذا سجى الليل وسكن الماشي حملني أخي شيئًا من الطعام فيسبق أمامي إلى بعض الأرامل أو بعض القراء فيضرب على الباب وينصرف ويوصيني أن لا أخبر من يكون(الشماخي، 1987م، صفحة 208)،وبعد خروج الشدة يسأل المشايخ عن ديون العباد لتسديدها يذكر البغطوريأن أبا المهاصر موسى بن جعفر كان سخي الكف فبعد الشدة سأل أبو القاسم البغطوري "كم عليك من الدين في هذه الشدة"(البغطوري، 2017م، صفحة 272)، وقام بتسديد ديون الناس، وقد عرف عن أهل الجبل "التزاور في الله والاجتماع على ما يصلح الإسلام وأموره"(الشماخي، 1987م، صفحة 254)خاصة من قبل العلماء للسؤال عن الحال والأحوال ومساعدة المحتاجين، فمن هنا يظهر حرص علماء نفوسة على مواجهة الكثير من الظواهر والآفات والسعي لمساعدة الناس وانقاد المجتمع من الهلاك والمجاعة خاصة المشايخ المقتدرين.

وقد اشترى رجلاً من أهل ميري جارية من السوق فستقررها بأنها أمة بنت أمة أمام أبو الشعثاء السنتوتي ولواب بن سلام(ق4)، فجاء أخوها بعدما خرجت بأيام الشدة فاستمسك بالذي اشتراها أنها أخته وأنها حرة واستشهد المشترى بأبي الشعثاء ولواب عند أبي محمد عبدالله بن الخير فنظر إلى الشبه بينها وبين أخيها فقال له الشيخ: أبا المهاصر: أيها المشايخ تعالوا نفك هذه المسكينة من الرق الذي ربطت نفسها بلسانها فيه، وكان الرجل اشتراها بأربعين دينارًا فقال أبو المهاصر: هذا دينارِي ودينار تلولي(زوجته) فجعل المشايخ الصلة، ولم يجدوا أربعين دينارًا فعاد أبوالمهاصر: وقال هذا دينارِي ودينار تلولي حتى أعطى ثمانية دنانير(البغطوري، 2017م، صفحة 274)وقام الشيخ أبي علي (أبالي) النفوسي الذي عندما وقعت شدة، أخذ يذبح للأضياف شاة على الغذاء وشاة على العشاء حيث كان كثير المال والحيوان(الوسياني، 2009م، صفحة 544).

4. 7 مراقبة الأسواق وتجنب الفتن:

فطن علماء نفوسة لما يحصل في الأسواق من تجاوزات وأمور كثيرة نهى عنها الشرع، فقاموا بالاحتساب والمراقبة وتقديم النصح وتنبيه الناس الغافلة، وتفرغ بعضهم لمراقبة السوق الرئيسي بجادو في كل الأوقات، وأشهرهم الشيخ إسماعيل الجيطالي الذي "كان يكثر على الناس التذكير بالأمر والنهي حتى يأتي الأسواق ويوعظ الناس، وقد طعن الحاسدين فيه وقالوا علم السُوقة مسائل الغش يقصدون أنه نبههم عنها فتعلموها"(الشماخي، 1987م، صفحة 197).

واسُندت للشيخ أبي يوسف وجدليش من قرية أنير أعمال سوق جادو في ق4هـ فكان يأمر بالمعروف وينتهي عن المنكر ولا يسمحلمن يرى فسادًا في بضاعتهم بالبيع فيه(ليفيتسكي، تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم، 2006م، صفحة 82)اتاه رجل فسأله أن يأذن له في بيع غنمه فقال: من تكون فقال: أنا ولد فلان من أهل أنير، فقال له:

هذه الغنم تليد فقال له: نعم فقال له: بع غنمك فاتاه رجل أخر فسأله مثل ذلك فقال له: أنا ابن فلان من أهل أغل فقال له: حرام أبيك يباع في سوق جادو يا ابن فلان، فقام عليه ففر هاربًا فطرده إلى ماطوس.(البغطوري، 2017م، صفحة 325)،وكان ينظم أعمال السوق من كل الجوانب، حتى وصل الأمر تنظيم أوقات دخول أهل المدن والقرى التي توجد بينها عداوة حتى لا تحدث فتنة بينها، "كان سوق جادو الذي يتوسط الجبل يتردد عليه سكان مواقع أخرى بجبل نفوسة وقد تحددت فيه أيام خاصة لساكنة قرية زمور وساكنة طرميسة لزيارة هذا السوق لكل منهما يوم محدد نظراً للعداوة التي بينهما، كما أن أهالي الجهة الغربية من الجبل يترددون عليه من حين لآخر لبيع منتوجاتهم"(الشماخي، 1987م، صفحة 207)، وربما لهذا السبب خصص للسوق مراقبين لمنع الفتنة والخلافات ومراقبة معاملات البيع والشراء وتأكيد تطابقها مع النظم الإسلامية.

بالإضافة إلى عدم ترددهم في الإصلاح بين المتخاصمين وحل مشاكلهم لما عرفوا به من تسخير الإمكانيات لخدمة الناس الذين يجعلون منهم ملجأً وعونًا لهم، وقد اشتهر أغلبهم بحسن الوساطة لتمتعهم بحسن السياسة والثقة، فروي أن أبا يعقوب التغرميتي أتاه خصمان فقام بتسيسهما حتى خرجا راضيين من عنده(البغطوري، 2017م، الصفحات 259–260)وعندما يتقلد النفوسي منصب الحكومة يسهم في عملية الإصلاح يذكر الشماخي أن الشيخ الحاكم أبا زكريا تولى أمور نفوسة ستين سنة لا ينام كل ليلة حتى يميز نفوسة كلها من يستحق الآدب أو المواساة ومن له الحق من باب كل راعٍ مسؤول عن رعيته(الشماخي، 1987م، صفحة 12)، وقد تخاصم إليه رجل وامرأة على فدان، وعندما رأى الحق مع المرأة قال للرجل: إن ذهبت إليه لا جعلهن في جنبيك يعني السياط(الشماخي، 1987م، صفحة 13)، وهكذا قام الكثير منهم بجمع الشتات والتوسط للمصالحة ونبذ الفرقة بين أفراد المجتمع النفوسي.

والعلماء يكابدون المشاق ويتحملون الأذى في سبيل إنجاح المشروع الإصلاحي فنتيجة لهذا الدور الذي يقوم به المشرف على السوق أبي يوسف وجدليش لم يسلم عندما تعرض للأذى ليلاً من قِبل بعض الخارجين عن القانون من فساطو وكان عددهم أربعون رجلاً(البغطوري، 2017م، صفحة 323)، والذين ضربوه هم الذين منعهم من بيع بضاعتهم في السوق"(يحيى، معمر، 2008م، صفحة 341)"وأخذ يرد عن نفسه حتى وصل بيته وجرحوهجراحًا كثيرة، وآبى أن يصيح مخافة أن يلتقي الناس فتكون بينهم فتنة على يديه" وقيل أنه مات في فساطو تلك الليلة بسبب جراحه(البغطوري، 2017م، صفحة 323)، أن طريق الإصلاح لم يكن سهلاً وميسراً بالنسبة للعلماء بل تعرضوا فيه للأذية والقتل، وكان هذا الشيخ ضحية هذا الجهاد الإصلاحي بالجبل.

وكان علماء نفوسة يسيرون على تطبيق ما يأمرون به الناس تجنبًا لظلم العباد واحترازًا من دخول المال الحرام، فكانوا القدوة لميراث الأنبياء بتعليم الناس أمور الدين وتطبيق النظم الإسلامية على وجهها الصحيح عمليًا فنجد

الشيخ وبدرن بن جواد (أبو معروف) العالم "التاجر كان يجلس في دكان دأبه ايما وزن لاحد من الناس زاده من نفسه خروبة، وإذا أراد أن يأخذ لنفسه من أحد نقص خروبة، فلما حضرته الوفاء أوصى بعشرين دينارًا احتياطًا من تباعة الميزان"(الوسياني، 2009م، صفحة 243)، فبدأ هذا الشيخ بنفسه مبادرًا لإيفاء الكيل والالتزام العملي بما أمر به الله عملاً وتطبيقًا لأن في صلاح العلماء صلاح الرعية، وبصلاحهم جميعًا يصلح المجتمع، وهذه الأسماء التي وردت في هذه الدراسة للعلماء كانت نموذجاً لبعضهم ولم تتناول الأدوار الإصلاحية لكافة العلماء ومواقفهم تجاه المجتمع. وقد أدى جلهم دوره بجدارة في إصلاح المجتمع وإبراز الهوية الإسلامية من خلال الالتزام بتطبيق مبادئ الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عما نهى عنه الله.

5. النتائج:

في ختام هذه الدراسة توصلنا إلى عدة نتائج أهمها:

1) أوضحت الدراسة تعاقب أجيال من العلماء على جبل نفوسة خلال الفترة المعنية بالدراسة ممن اشتهروا بالصلاح وآمنوا بقداسة رسالتهم التي تتلخص في خدمة المجتمع الإسلامي، وحملتهم مسؤوليتهم الأخلاقية والشرعية بالمشاركة في تطوير الحياة الاجتماعية.

2) بينت الدراسة حرص علماء نفوسة على المنهج التربوي في المجتمع النفوسي لبناء الوعي الاجتماعي والديني والمحافظة على الهوية الإسلامية من خلال بناء المؤسسات العامة (الدينية والتعليمية) وإدارتها والإنفاق عليها واستمرارها في تقديم رسالتها خلال القرون المنصرمة.

3) أكدت الدراسة تمكن علماء نفوسة من توثيق وتعميق التماسك الاجتماعي وخلق توازن بين الأغنياء والفقراء بالمجتمع النفوسي وذلك بالإسهام في أعمال البر والنفقات وكفالة الأيتام ومواجهة الأزمات والاختناقات والظواهر الطبيعية والتكيف معها.

4) بينت الدراسة أن المنهج الإصلاحي الذي تبناه علماء نفوسة في المجتمع ومجالاته المختلفة أسهم في الحد من انتشار بعض الظواهر السلبية وغير الأخلاقية بالمجتمع من خلال العمل بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

5) استنتجت الدراسة بروز المنظومة القيمية الإسلامية في سلوك علماء نفوسة (رحمة وستر وكرم وإحسان وتعاطف) من خلال اهتمامهم بضيافة الغرباء والرحمة بالضعفاء والصفح عمن أساء لشخصهم.

6) أثمرت جهود علماء نفوسة فيما قاموا به من إصلاحات بالمجتمع النفوسي وفي نفس الوقت واجهوا صعوبات كثيرة أثناء عملية الإصلاح الاجتماعي فالمهمة لم تكن سهلة وميسرة نتيجة عدم تقبل بعض الأفراد لهذا المنهج.

6. الملاحق: جدول "إحصائي يبين نسبة الإصلاحات خلال قرون الدراسة

6. 1جدول (أ) يبين نشاط علماء نفوسة في القرن3هـ وأعمالهم الإصلاحية الاجتماعية بالجبل

ملامح الدور الإصلاحي لعلماء الاباضية بجبل نفوسة (من ق3 حتى ق8هـ)(ق9 حتى ق14م)

الحياة الاجتماعية نموذجًا

الاسم	الأعمال الإصلاحية بجبل نفوسة	القرن	الصفة /	المدينة/ بالجبل
أبو عبيدة عبدالحميد	بناء المساجد/التعليم/أعمال البر	ق3	حاكم للجبل	إجناون
أبو الشعثاء عبدالكريم	بناء المساجد/ التعليم/الإرشاد والنصح	ق3	حاكم شروس	سنتوت
أبو المهاصر موسى بن جعفر	بناء المساجد/التعليم/أعمال البر والإنفاق	ق3	من العلماء	ايفاطيمان
أبو زيد التمزغورتي(مصغورتي)	بناء المدارس	ق3	من العلماء	مصغورت/ مزغورة
أبو مسور يصلتينالادوناطي	بناء المساجد/ أعمال البر/ درئ الفتن	ق3	من العلماء	تصصليت
محمد بن يانس الدركلي	بناء المساجد/ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	ق3	من العلماء	دركل
أبو محمد خصيب التمصيصي	بناء المساجد والمدارس/التعليم أعمال البر والإنفاق	ق3	من العلماء	تمصميص
مصلوكن التائب المرساوني	أعمال البر والإنفاق	ق3	من العلماء	أمرساون
أبو عامر التصراري	بناء المساجد/ والإرشاد والنصح	ق3	من العلماء	انير
أبو محمد سعد بن أبي يونس	بناء المساجد	ق3	حاكم قنطرار	تيجي
أبو ذر أبان بن وسيم	بناء المساجد والمدارس/ التعليم/ الإفتاء	ق3	مفتي/حاكم نفوسة	ويغو
أم يحيى الجلالياتكسليت	بناء المدارس/ التعليم	ق3	من العلماء	جليمة/تصصليت
أبو الربيع سليمان بن ماطوس	بناء المدارس/ التعليم / أعمال البر والإنفاق	ق3	مفتي/حاكم للجبل	شروس
أبو هارون موسى بن يونس الجلالي	بناء المدارس/ أعمال البر الإنفاق / التعليم	ق3	من العلماء	جليمة
أبو الربيع سليمان بن هارون	بناء المدارس/ التعليم	ق3	من العلماء	لالت
أبو معروف ويدرن بن جواد	أعمال البر والتعليم وفض النزاعات والقضاء والتعليم	ق3	قاضي	ويغو
أبو مرداس محاصر السدراتي	الإنفاق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعليم	ق3	من العلماء	تبرست
أبو يوسف حجاج بن ويفتين الويغوي	أعمال الخير والرأفة بالعباد	ق3	من العلماء	ويغو
أبو خليل صالح الدركلي	التعليم	ق3	من العلماء	دركل

أبو الليث الجناوني	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	ق3	من العلماء	إجناون
عمروس بن فتح	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	ق3	قاضي	أموساكن
أبو يعقوب البغطوري	أعمال البر والإنفاق	ق3	من العلماء	بغطورة
زيديت بنت عبدالله الملوشية	الوعظ والإرشاد والتوجيه والتعليم	ق3	من العلماء	تموشايت

من خلال هذا الجدول نلاحظ أن أعداد العلماء في القرن الثالث مقارنة مع القرون اللاحقة أن أعدادهم أكثر بكثير، ويعود ذلك لاستقرار أوضاع الجبل السياسية في هذه الفترة والتي كانت تحت حكم الدولة الرستمية، كم يعتبر هذا القرن من أزهى عصور جبل نفوسة من حيث النشاط الملحوظ للعلماء في كافة المجالات خاصة الدينية والعلمية والاجتماعية التي تبرز الهوية الإسلامية للجبل، بعد أن كانت الديانات الأخرى تنتشر بين سكانه، كما نلاحظ تنوع أماكن استقرار ونشاط العلماء بين قرى ومدن الجبل، مما يشير إلى شمولية الإصلاحات في جبل نفوسة، وتنوعها بين الأمر بالمعروف والإنفاق وأعمال البر والإسهامات المختلفة من إنشاء المدارس وبناء المساجد وإدارة حلقات العلم في كافة مدنهم وقراهم، كما نلاحظ تقلد بعض العلماء للمناصب الإدارية والتي بدورها كفلت نجاح بعض هذه الأنشطة الإصلاحية بالجبل.

6. 2جدول (ب) يبين نشاط علماء نفوسة في القرن الرابع الهجري وأعمالهم الإصلاحية

من خلال هذا الجدول نلاحظ أن أعداد العلماء الذين تبنوا حركة الإصلاح أقل بكثير مقارنة مع القرن السابق، وهذا يرجع إلى انتشار المؤسسات بكثرة كالمدارس والمساجد بكافة مدن وقرى الجبل، مما جعل عملية البناء لمثل هذه

الاسم	الأعمال الإصلاحية بجبل نفوسة	حياته	صفته	القرية او المدينة
أبو القاسم البغطوري	أعمال البر والإنفاق	ق4	من العلماء	بغطورة
أبو محمد عبيدة بن افلح	أعمال البر والإنفاق	ق4	من العلماء	تلالت/ تالات
أم ماطوس	التعليم	ق4	من العلماء	شروس
أبو زكريا يحيى بن ابي عبدالله التندميري	أعمال البر والإنفاق	ق4	من العلماء	تندميرة
أبو سهل البشير بن محمد	بناء المساجد/الإنفاق على طلاب العلم	ق4	من العلماء	تندميرة
أبوهارونموسى بن هارونالتملوشائي	بناء المساجد/أعمال البر والإنفاق/الإفتاء/إنكار المنكر	ق4	مفتي/ حاكم	تموشايت
أبو عمرو ميمون بن محمد الشروسي	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	ق4	حاكم	شروس
سليمان بن موسى التلموشائي	التعليم وإنكار المنكرات	ق4	من العلماء	ابناين
أبو يوسف وجداليش بن في اليجلاني	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	ق4	محتسب	أنير
ابو الفضل سهل النفوسي	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	ق4	حاكم	شروس

المؤسسات يتوقف مقابل توسع النشاطات كالتعليم وإدارة الحلقات في تلك المؤسسات الموجودة مسبقًا، مع استمرارهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستمرار عمليات الإنفاق والتكافل الاجتماعي لاستمرار توافد طلاب العلم من خارج الجبل وكثرة الأضياف.

ونلاحظ أيضاً بروز أكثر العلماء في هذه الفترة من مدينة شروس التي تعد حاضرة الجبل في هذا القرن بعد سقوط الدولة الرستمية، وإدارة الجبل محليًا من خلال النخب العلمية الموجودة فيه حيث يظهر نشاط ثلاث حكام للجبل من الناحية الإصلاحية الاجتماعية في هذا الجدول.

6. 3 جدول (ج) يبين نشاط علماء نفوسة بين القرن 5هـ/ 8هـ وأعمالهم الإصلاحي

من خلال هذا الجدول نلاحظ تنازل أعداد العلماء في هذه القرون والسبب يرجع لشح المعلومات عن نشاطات العلماء في هذه الفترة، فالسير المحققة عن علماء جبل نفوسة قليلة جدًا وكان تركيزها على الجيل الأول من علماء نفوسة، والسير اللاحقة المحققة كطبقات الأشياخ للدرجيني والسير للشماخيماهي إلا تكرار لسيرة البغطوري وسير الوسياني، بالإضافة لعدم تمكنا من معرفة بعض التراجم لبعض العلماء الذين جاء ذكرهم في السير.

كما نلاحظ إعادة نشاط بناء المدارس في القرن السابع بفرسطاءوطرميسة وربما يعود ذلك لتزايد أعداد طلاب العلم في هذه المناطق أو لكثرة من اجتاز مراحل التعليم(الاجازة) وقرروا إنشاء مدارس خاصة جديدة متخصصة لتطور العلوم وكثرة مجالاتها وتعدد فنونها بحيث يستوجب ذلك مزيدًا من المدارس.

الاسم	الأعمال الإصلاحية بالجبل	حياته	صفته	المدينة او القرية
أبو عبدالله محمد بن سليمان	التعليم/ أعمال البر والإنفاق	ق5	من العلماء	تمولست/ ابدلان
أبو علي (ابالي) الفساطوي	أعمال البر والإنفاق	ق5	من العلماء	فساطو
أبو يحيى زكريا بن ابراهيم الفرسطائي	بناء المدارس/ التعليم / أعمال البر والإنفاق	ق6	من العلماء	فرسطاء
أبو عيسى الطرميسي	بناء المدارس/ التعليم	ق7	من العلماء	طرميسة
أبو موسى عيسى بن عيسى الطراميسي	التعليم / أعمال البر والإنفاق	ق7	من العلماء	طرميسة
أبو طاهر الجيطالي	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	ق8	من العلماء	إجيطال
أبو محمد عبدالله بن مطكود	التعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والانفاق	؟	الفتيا	؟
ابو عبيدة محمد التلاتي	أعمال البر والإنفاق	؟	من العلماء	؟
أبو محمد القنطراري	أعمال البر ورعاية المصالح العامة	؟	من العلماء	قنطرار
أبو ايوب حسن الجادوي	كفالة الأيتام وأعمال البر	؟	من الأعلام	جادو

نلاحظ استمرار أعمال الإنفاق التي جبل عليها علماء الجبل مع استمرار النشاط التوجيهي والإرشادي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل الأزمنة.

7. قائمة المصادر والمراجع:

ابن خلدون. (2000م). *ديوان المبتدأ والخبر* (المجلد ط 3). بيروت، لبنان: دار الفكر العربي.
أبو الربيع سليمان، بن عبدالسلام الوسياني. (2009م). *سير الوسياني*. مسقط: وزارة التراث والثقافة.
أبو عبدالله ، محمد الإدريسي. (2002م). *نزهة المشتاق في اختراق الأفاق*. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.
أبوالعباس، أحمد الدرجيني. (1965م). *طبقات المشايخ تحقيق: ابراهيم طلاي*. الجزائر : مطبعة البعث.
أحمد بن سعيد الشماخي. (1987م). *السير*. مسقط: وزارة التراث والثقافة.
امحمد طفيش . (1965م). *الرسالة الشافية* (المجلد 1). ماكغيل، كندا.
باسي، روني. (2000م). *تسمية مشاهد نفوسة (دراسة في وثيقة مجهول المؤلف)*. طرابلس: مؤسسة تاوالت.
تادايوش ليفيتسكي. (2006م). *تسمية شيوخ جبل نفوسة وقراهم*. طرابلس: مؤسسة تاوالت الثقافية.
تادايوش ليفيتسكي. (2006م). *دراسات شمال افريقية*. طرابلس، ليبيا: منشورات تاوالت.
حسين مؤنس. (2000م). *معالم تاريخ المغرب والأندلس*. القاهرة، مصر : دار الرشاد.
علي يحيى، معمر. (2008م). *الإباضية في موكب التاريخ، الإباضية في ليبيا*. مسقط: مكتبة الضامري.
مجهول . (2005م). *مفاخر البربر تحقيق عبدالقادر بوباية*. الرباط: دار أبي رقراق للطباعة.
محمد ، سالم المقيد الورفلي. (2009). *بعض الآثار الإسلامية بجبل نفوسة في ليبيا*. طرابلس: مؤسسة تاوالت الثقافية.
محمد عبدالمنعم الحميري. (1984م). *الروض المعطار في خبر الأقطار* (المجلد 1). بيروت، لبنان: مكتبة لبنان.
مقرين محمد البغطوري. (2017م). *روايات الأشياخ*. مسقط، سلطنة عمان: خزائن الاثار.
يحيى بن أبي بكر أبو زكريا. (1982م). *سير الأئمة وأخبارهم* . بيروت: دار الغرب الإسلامي.